المصدر: الاهرام
التاريخ : ٨ يـونيـو ٢٠٠٥

موتمر البعث السوري.. بدايه للتغيير ام رده للخلف

بقلم : د. حسن ابو طالب

افتتح الموتمر القطري العاشر لحزب البعث العربي الحاكم في سوريا وهو الموتمر الذي يعقد في ظل بيئه داخليه واقليميه مليئه بالتحديات الجسام لاسيما بعد ان اتمت سوريا انسحابها من لبنان نهايه ابريل الماضي. ولعل اهميه الموتمر تتضح اكثر في ضوء الكم الكبير من التوقعات والتكهنات التي تداولها السوريون قبل انعقاد الموتمر بفتره طويله وعبرت في مجملها عن تطلعهم في ان يكون الموتمر خطوه حقيقيه علي طريق الاصلاح ونقطه فاصله في معالجه اخطاء الماضي وبدايه تغيير حقيقي في الحياه السياسيه من خلال طرح مشروع اصلاحي كبير ينشل سوريا من همومها الكبيره ويضعها علي ساحه المنافسه الاقليميه وفق قواعد لعبه جديده اهم ما فيها هي القدره علي التجديد الداخلي والقدره علي الانتاج والابداع والتماسك في الداخل ومواجهه ضغوط الخارج.

وتاخذ مساله الاصلاح في سوريا طابعا خاصا في ضوء اعتبارين الاول انه في بدايه عهد الرئيس بشار الاسد كانت هناك وعود كبيره باحداث تغييرات مهمه في اسلوب العمل السياسي وبما يسمح بانفراج الحريات العامه وهو ما لم يحدث وتم تبريره بان حجم الضغوط الخارجيه يحول دون اتخاذ خطوات جريئه غير محسوبه قد يكون لها نتائج عكسيه علي الداخل. وفي الاونه الاخيره صدر عفو عام وسمح للسوريين في الخارج بالعوده الي الوطن وبعضهم عاد بالفعل ولكنه تعرض لمساءلات امنيه والبعض اعتقل من قبل اجهزه امنيه فيما بدا ان العفو ليس سوي مصيده. وتلكم موشر سلبي علي ان مبدا العفو وفتح صفحه جديده في الحياه السياسيه السوريه ليس محل توافق بين الاجهزه والموسسات المعنيه. فضلا عن اعتقال بعض الناشطين الذين يعملون في ظل القانون والمنتمين لمنتدي جمال الاتاسي ثم الافراج عنهم بعد احتجاجات في الداخل والخارج.

اما الاعتبار الثاني فهو ان سوريا بعد احتلال العراق ثم انسحابها الكامل من لبنان اصبحت تواجه بحقائق جديده تتعلق بفقد عدد من نقاط القوه الاقليميه التي كانت تتمتع بها لمده طويله سابقه. فالي جانب الضغط الدولي المتمثل في القرار ١٥٥٩ والموقف الامريكي الذي يهدد بين الحين والاخر بفرض عقوبات وممارسه عزله اكبر علي النظام السوري وفتح قنوات اتصال مع اطراف تمثل المعارضه السوريه في الخارج وعدم الاعتداد بدعوات سوريا للعوده الى المفاوضات مع اسرائيل بشان مصير الجولان المحتل ناهيك عما

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

يمكن ان تحمله نتائج لجنه التحقيق في اغتيال رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري من مفاجات قد تحمل سوريا او احد اجهزتها الامنيه جزءا من المسئوليه. وفي ضوء هذه الضغوط المتتاليه يصبح الخيار المناسب والافضل لسوريا هو اعاده ترتيب الداخل علي قاعده الاصلاح الشامل وفي

المقدمه الاصلاح السياسي واطلاق الحريات والتخفيف من سطوه حزب البعث علي مجمل الحياه السياسيه والتنفيذيه والتشريعيه في البلاد وافساح المجال امام مشاركه كافه الفئات السوريه المستبعده من العمل السياسي.

والفرضيه التي تدفع الي الاهتمام بتحصين الداخل ليست امرا معقدا او اكتشافا سحريا ذلك ان قدره اي نظام علي الوقوف امام ضغوط الخارج تكمن اساسا في قدرته علي ان يكون تعبيرا جامعا لكل فئاته وان ينجح في تعبئه القدرات الشعبيه عبر اشراكها في العمل السياسي الحر. وهما امران تفتقدهما سوريا منذ فتره طويله وكان يتم التعويض عنهما بممارسه سياسه خارجيه تتصف بالمرونه والدهاء وحسن توظيف القضايا الاقليميه. وهو الامر الذي افتقدته سوريا تماما في الاونه الاخيره وبات تعويضه مرهونا اساسا بحسن تعبئه موارد الدخل البشريه والاقتصاديه والسياسيه والسبيل الوحيد لذلك يكمن في المشاركه والحريه والاصلاح ومواجهه الفساد. و لا شئ اخر.

والمعروف علي نطاق واسع ان الداخل السوري يشهد تعثرا شديدا في مجالات عديده وان بوصله الحركه ليست واضحه بما يكفي. وهنا يطرح البعض في سوريا ضروره النظر في فلسفه حزب البعث نفسه وفي اسمه وفي شعاره لكن الشواهد تشير الي بقاء الامور علي حالها او احداث بعض تغييرات شكليه مثل تقليص عدد اعضاء القياده القطريه والتخلي عن القياده القوميه لاسيما بعد انتهاء دور حزب البعث العراقي نتيجه الاحتلال الامريكي او ربما يتم تغيير اسمها الي المكتب السياسي مع تغيير بعض الاسماء التي ظلت في مناصبها الحزبيه والتنفيذيه لفترات تزيد عن عقدين ونصف.

وفي كل هناك تاكيد رسمي علي انه لا تغيير ولا تخلي عن الدور القومي للحزب وان هناك اصرارا علي الانفتاح علي كل الافكار المطروحه عربيا. واذا كان هذا الانفتاح الفكري علي الخارج يمثل نقطه ايجابيه فان تحدي الانفتاح السياسي علي الداخل يمثل قمه العطاء المنتظر. ولاسيما في اتجاه السوريين الاكراد الذين يعتبرون انفسهم يعانون الكثير من مشكلات الاستعلاء القومي العربي ناحيتهم. ولذلك فان اعاده الاعتبار لمبادئ الاخوه العربيه الكرديه وايجاد حلول حقيقيه لمشكلات الاندماج السياسي الكامل لاكراد سوريا سوف يعبر عن تغيير محمود وستكون له نتائج ايجابيه علي تحصين الداخل وسد ثغرات التدخل الخارجي.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

اما علي صعيد الاقتصاد السوري فهو يعاني ضعفا شديدا لاعتبارات واسباب معروفه للكافه منها تخلف النظام المصرفي واتساع تدخل مراكز القوي السياسيه والامنيه في السياسات الاقتصاديه والتمسك بالقطاع العام وضعف بنيه القطاع الخاص وغموض قوانين الاستثمار وشيوع البطاله وضعف الاجور وقله المدخرات العامه وندره الموارد الطبيعيه بما في ذلك المياه. ناهيك عن قله الدعم المالي العربي الذي مكن سوريا لفتره طويله من التماسك الاقتصادي. ومعظم تلك الاسباب لاسيما غير الطبيعيه راجع اساسا الي التعامل باليات مركزيه شديده وعبر تدخل الدوله المباشر في وقت ثبت فيه ان مثل هذه الاليات ذات مردود اقتصادي واجتماعي محدود جدا ولا يتيح للدوله الدخول في مضمار المنافسه الاقليميه او العالميه علي اي نحو كان.

وتدل المناقشات التي تسربت حول الاوراق والتوصيات التي ستعلن من الموتمر القطري العاشر لحزب البعث عن الاصلاح الاقتصادي ان هناك محاوله للمزج بين اعتبارات اجتماعيه وبقاء دور الدوله المهيمن علي الحياه الاقتصاديه مع توسيع مساحه الحركه نسبيا امام القطاع الخاص. ولذلك فان الاصلاحات التي يبشر بها الموتمر القطري العاشر لحزب البعث السوري والتي تفرض استمرار قياده الحزب للدوله وهيمنته علي المجالين السياسي والاقتصادي مع افساح مساحه محدوده جدا من الحريات للاحزاب والمنظمات المدنيه واستمرار القطاع العام بكامل قوته القائمه تبدو بعيده عن مفهوم الاصلاح نفسه وبعيده ايضا عن مبدا الملاءمه مع شروط المنافسه الحقيقيه التي تسود عالم اليوم.

ان زمن التغييرات الجزئيه التي لا ترضي تماما تطلعات المواطنين السوريين قد ولي وانتهي والمرحله المقبله بحاجه الي نوع من الحسم الاصلاحي والتخلص من رموز مكروهه شعبيا بشده وان تمسك الموتمر القطري العاشر لحزب البعث بنفس النهج القديم، فالمرجح ان تزيد الفجوه الموجوده بين الحزب وبين القاعده الشعبيه الباحثه عن مستقبل افضل.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية